حيوانات يطلق عليها اسم (بوكيمون) وهي في تطور مستمر، فتجد البوكيمون يتطور وحده ويصبح شكلاً آخر، ويتطور بالاتحاد مع بوكيمون آخر وينتج كائناً آخر يختلف كلياً عن البوكيمون الأصلي، وكل ذلك يضع في عقيدة الطفل رصناً لقبول النظريات الإلحادية كالتناسخ والتقمص. يضاف إلى ما تقدم ظاهرة تكشف النساء في أغلب تلك المسلسلات بما يخدش حياء الطفل مرة ومرة حتى يضمحّل عنده الحياء أو يكاد ينعدم.

ومما سبق نلاحظ أنه ليس هناك برنامج كرتوني يعرض الآن يخلو من هذه الأمور وهذه الآثار السلبية التي يتلقاها الطفل مما يجعل الطفل يعتاد هذه الصور والمظاهر. ووجد نفسه يعيش هموماً غير التي يعيش فيها ووجد نفسه طفلاً أوروبي العادات والتقاليد مما جعله يكتسب العدوانية في سلوكه وفكره[1].

❐ ثانياً: أخطار صحافة الناشئة وبعض النماذج عليها

تمهيد:

أهمية الصحافة للناشئة:

تعتبر صحافة الناشئ وسيلة جيدة في إيصال المعرفة والثقافة، وتتركز أهمية صحافة الناشئ في أنها تساعد على تنمية السلوك وإمداده بسلوكيات هامة في حياته، وإمداده بذخيرة حية من المعلومات لها أهميتها في بناء الاتجاهات المختلفة للناشئ في عالم اليوم وخاصة ما يتعلق بالاتجاهات والسلوكيات المرتبطة بالمجتمع الذي يحيا فيه ويعيش

(١) انظر: الفضائيات والغزو الفكري، د. محمود عبد الرازق، مجلة الحكمة العدد (٢٧)، ص٦٨ ـ ٧١.

من خلاله مما يؤدي إلى ثبات هذه الاتجاهات واكتساب الناشئ لها وهو صغير إلى أن تتغير بفعل عوامل تنشئة أخرى، بالإضافة إلى ذلك ما تحققه الصحافة للناشئ من تنمية للتفكير السببي والمنطقي، وتساعده على تكوين صورة إيجابية عن ذاته وعن العالم[١].

نماذج من مجلات الناشئة وجوانب الأخطار فيها:

عند الحديث عن صحافة الناشئة ومواقع الخطر فيها، فإن الحديث يتوجه مباشرة إلى نوع منها شديد الارتباط بالناشئة ويشكل خطورة أكثر عليهم، وهي مجلات الأطفال. وهذه المجلات نماذج متعددة تتضمن العديد من الأخطار هي **كالتالي**:

١ ـ صحف الهزليات المصورة التي تعتمد على المغامرات والخدع والنكتة السريعة، والتي يقوم الكثير منها على الجرائم وكيفية البحث عن مرتكبيها على يد شخصية بطولية أسطورية وهي تعتمد على الصور المتتابعة بالدرجة الأولى، ولا يكون للكلمة فيها أهمية كبرى، وهذا يؤدي إلى إعاقة نمو لغة الطفل، بل إن بعضها يعتمد على اللهجة العامية أو اللغة العربية التي تكثر فيها الأخطاء، كما أن مضمونها يشعره خيال الطفل ويغرس في نفسه بعض الأفكار والقيم الخاطئة.

٢ ـ فهناك المطبوعات المخصصة للأطفال تحتوي على قصص وصور وتقارير وفقرات وتعليقات تتضمن الإشادة بأعمال اللصوصية والكذب والسرقة والتبطل والحب والكراهية والفجور وأعمال أخرى

(١) انظر: مجلات الأطفال وثقافة العنف، محمد حيان الحافظ، مجلة أحوال المعرفة، العدد (٣١)، ص٨٦، والطفولة والمستقبل، د. إسماعيل عبد الفتاح الكافي ١/ ١٦٠.

مكونة للجريمة والمخالفات التي تفسد أخلاق الأطفال، وتحتوي على إعلانات ودعايات عن مطبوعات تفسد أخلاق الأطفال.

٣ ـ المجلات التي تعتمد على الصور المرسومة بحذق وقوة، حيث توحي بحوادث القصة دون الرجوع إلى النص، وحوار قصص هذه المجلات تمجيد لضرب من البطولة تعتمد على الرياء أو على القوة والعنف. فالقصص التي تحتويها تنطوي على معاني الكبت وإرضاء الرغبة الأوديبية، والانتقام من الأب وممن يمثل السلطة، وإن ضرر هذه المجلات يرجع إلى أنها تدفع إلى الإجرام؛ لأن قصصها تمجد مبدأ اللذة، وتؤدي بالقارئ الصغير إلى أن يثور على الواقع وعلى السلطة أياً كانت في حين أن التربية السديدة يجب أن تكون تهذيباً للدوافع المبتذلة ولأوهام العظمة والسيطرة، وربما ترجع الفوضى التي تعانيها الإنسانية اليوم إلى انطلاق مثل هذه الدوافع والأخيلة والأوهام[1]، ومن أمثلة المجلات الوافدة التي تصور شخصيات خيالية غير حقيقية: «الرجل الخارق»، «الرجل الوطواط»، و«سلاحف النينجا».

٤ ـ المجلات المترجمة: وتتميز هذه المجلات بتقديم المواد بصورة فيها الكثير من الإثارة والجاذبية، فتحفز الناشئة على الإقبال عليها وهذا يعتبر جزء من عملية الغزو الثقافي، بالإضافة إلى ما يتخلل هذه المجلات من إبراز لقصص العنف وسيلة لحل كل المشكلات، والتي تجعل القوة البدنية هي العامل الأقوى في مختلف المواقف، وهي أمر نجده في كثير من قصص المغامرات، ومن الأمثلة على هذه المجلات

(١) انظر: مجلات الأطفال وثقافة العنف، محمد حيان الحافظ، مجلة أحوال المعرفة، العدد (٣١)، ص٨٧.

التي تدعو القصص فيها إلى العنف: قصص (طرزان) الذي تربى بين الحيوانات لم يعرف وسيلة لحل ما يواجهه من مشكلات إلا القوة البدنية[١].

وكذلك شخصية سوبرمان الذي يتغلب على كل من يقف في طريقه عن طريق القتل، وكذلك «الرجل الوطواط»، «فإن هذه المجلات المترجمة التي يقرؤها أبناؤنا تنقل مفاهيم ثقافية وحضارية وعقديه مختلفة عن مجتمعنا، وتقدم أنماطاً سلوكية اجتماعية وتربوية وفكرية خطرة على الأطفال، ومثل هذه الشخصيات السابقة تخلو من جميع القيم الإسلامية عقيدة وشريعة إذ تنفي وجود قدرة الله وتزعم أن قدرة «سوبرمان» كفيلة بأن تقاوم أي قوة تقف أمامها كما أنها تنفي المشيئة الإلـٰهية، وخلق الكون من رب خالق»[٢]، أو كأنه تعالى خلق الكون ثم تخلّى عنهم، وهذه أهم سلبية في تلك القصص.

مع أن اعتقاد المسلم ينبغي أن يبنى على ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

٥ ـ من بين القصص التي تترجم لأطفالنا تلك القصص التي تدور حول المنافسة بين طرفين، وتجعل الصراع حتى الموت هو الوسيلة الوحيدة لإنهاء التنافس بين الأطراف المتنازعة.

فهذه القصص التي يقرؤها الطفل ويطالعها أسبوعاً بعد أسبوع في مجلته تدربه على نمط خاطئ من السلوك من السهل تقليده والتمثل به لما فيه من تنمية للإحساس بالتفوق على الآخرين برغم ما يسببه لهؤلاء الآخرين من أذى وأضرار.

---

(١) انظر: المرجع السابق ص٨٨.
(٢) المترجمات والناشئة ص٥٥.

٦ ـ إن شخصيات قصص الرجل الخارق للطبيعة مثل قصص (الرجل الأخضر) و(باتمان) أو غيرها تلجأ إلى تبسيط الشخصيات بحيث تجد بعضها ممثلاً للخير المطلق؛ وبعضها ممثلاً للشر المطلق مما يؤدي إلى فهم الأطفال لمجتمعهم والمجتمعات الأخرى فهماً خاطئاً وتثير لديهم دوافع التعصب والعدوان.

يضاف إلى هذا أن قصص الرجل الخارق تزيف الحياة عندما تجعل في متناول البطل الثروة والسيارات والطائرات وكل وسائل الراحة، دون إبراز أي جهد بذله للحصول على هذه الوسائل؛ حتى إنه يحطم ما يساوي عشرات الآلاف من المال بغير أسف أو ندم، ثم يجد غيرها بالبساطة نفسها، هذا رغم أن من أسس التربية السليمة أن ينشأ الأطفال على تقدير قيمة ما يملكون أو ما يتطلعون إلى امتلاكه، وأنه لا بد من بذل الجهد للحصول على هذا الذي يتطلعون إليه.

إذن دور هذه المجلات الوافدة سلبي فيما يتعلق بتعليم الناشئة وتلقينهم مظاهر العنف والإرهاب والأخلاق السيئة وغيرها من الأخطار التي تؤثر على عقول الأطفال ونفوسهم وسلوكياتهم.

فمن واجب الآباء والأمهات والمربين ورجال التعليم والمثقفين توجيه الأطفال نحو القراءات الصالحة والنافعة، لا سيما القصص والحكايات والمجلات والمطبوعات الإسلامية، التي تهدف إلى نشر القيم الدينية والأخلاقية والتربوية وتنشئة الأطفال تنشئة صالحة بعيداً عن أشكال الانحرافات الخلقية والفكرية والعقدية والسلوكية التي تسعى إليها معظم مجلات الأطفال بالمكتبات العربية، ولا سيما المجلات والمطبوعات المترجمة[1].

---

(١) انظر: مجلات الأطفال وثقافة العنف، محمد الحافظ، مجلة أحوال المعرفة، العدد (٣١)، ص٨٨، ٨٩.

وهنا لا بد من الهمس في أذن المؤلفين ألّا يجعلوا من قصص الأطفال منابر للخطب الإرشادية، فالطفل في أيامنا أمامه وسائل شديدة الجاذبية شديدة التأثير فلا أقل من أن تكون القصص التي تؤلف له يختفي فيها العنصر الوعظي المباشر لتكون القصة أبعد تأثيراً وأشدّ تشويقاً للطفل، ولا مانع أن تشتمل على أهداف تربوية إسلامية تستخلص من حب الطفل للبطل وصفاته، لا في عبارات ونصائح مباشرة تفقد القصة جانبها المؤثر[١].

◻ ثالثاً: الإنترنت (الشبكة العالمية للمعلومات):

مع نهاية القرن الماضي «تطورت أجهزة الاتصال تطوراً كبيراً، حتى توصلت بواسطة الاتصال عن طريق الحاسبات الآلية إلى ما يسمى بالإنترنت (الشبكة العالمية للمعلومات) بحيث يستطيع الفرد وهو جالس في غرفته أن يتصل بالعالم ويحصل منه على المعلومات التي يريدها»[٢].

ـ الخدمات التي تؤمنها شبكة الإنترنت[٣]:

وتنفرد هذه الشبكة بتأمين خدمات لا تتوفر في أجهزة الاتصال المعروفة منها:

١ ـ **البريد الإلكتروني**: تقوم على تبادل البريد أو الاتصال بين شخصين بطريقة إلكترونية أقل تكلفة بكثير من كلفة الفاكس، وهي وسيلة

---

(١) من قصص الأطفال الناجحة من هذا الجانب مجموعة (الباقة الرائعة)، تأليف: د. أحمد مختار الشريف، وقد اعتمدت وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية توزيعها على المدارس.

(٢) الإعلام والبيت المسلم ص٩٩.

(٣) الفضائيات والإنترنت آثارهما على النشء، مازن محمد الشامي ص٤٥.

سريعة، وهي من أكثر الخدمات المستعملة على شبكة الإنترنت، ويتم إرساله واستقباله عن طريق برامج أعدت خصيصاً لهذه الغاية[١].

٢ ـ **نقل الأخبار وتلقيها**: فعن طريقه يتلقى الفرد صفحات من أخبار الصحف والمجلات فضلاً عن تبادل الآراء حول المواضيع ذات الاهتمام المشترك.

٣ ـ **نقل وتحميل الملفات**: حيث يمكن عبر الإنترنت نقل البرامج الإذاعية والتلفزيونية وعرضها وتخزينها أغاني أو أفلاماً سينمائية دون متابعة أو مراقبة[٢].

٤ ـ **المحادثة الإلكترونية**: ويتم عن طريقها التحدث مع أشخاص آخرين على الإنترنت وهي تخدم خاصة أصحاب الأحاديث والآراء الحرة، وهي مثيرة وشائقة وتتوقف مصداقيتها على مدى جدية المتحدثين وصدقهم، وهذه الخدمة تتميز بها شبكة الإنترنت عن غيرها، ولها برامج تتيح لك فتح شاشة خاصة بكتابة ما تريده، ونفس الشاشة تتاح للطرف الآخر، وكل من الطرفين يرى ما يكتبه الآخر في نفس الوقت[٣].

ـ أخطار هذه الشبكة على الناشئة:

إلى جانب الفوائد الكثيرة لهذه الشبكة فإن أخطاراً تكمن فيها تؤثر على أبناء الأمة، **ومن تلك الجوانب**:

---

(١) انظر: الإنترنت والمعلومة، حمد بن بداح الصالح ص١٠٦، الإعلام والبيت المسلم ص١٠١.
(٢) الإعلام والبيت المسلم ص١٠١.
(٣) انظر: الفضائيات والإنترنت آثارهما على النشء ص٤٥، ٤٦.

١ ـ على التحصيل الدراسي:

ذلك أن الطالب إن تُرك وحده ليتعامل مع الشبكة كان ذلك في الأعم على حساب دراسته واستذكاره، ولكن إن تهيأ له التوجيه والرعاية استطاع أن يعرف كيف يستفيد حقاً من الشبكة وخصوصاً أن التعليم الإلكتروني اليوم غدا مبنياً عليها.

٢ ـ على التربية:

إذ يصعب ضبط هذه الشبكة أو مراقبة مواقعها لعدم امتلاكها من أي أحد في العالم، وكل من يشترك فيها من ملاكها، وأيضاً أن في كل لحظة ممكن إنشاء موقع آخر على هذه الشبكة ويوجد من بين هذه المواقع مواقع مشبوهة لأناس مشبوهين يعملون على نشر أفكارهم وترويجها في بلاد الإسلام ليحطموا عرى الدين، ويقاوموا العفة، ويشيعوا الرذيلة والإلحاد، ويزرعوا الشك في الدين والقيم والمبادئ الصحيحة.

ومن المخاطر الناجمة عن استخدام الإنترنت أيضاً ما قد يحدث من اتصال مباشر بين الناشئ وشخص آخر على الشبكة قد تؤدي إلى كشف الناشئ لمعلومات قد تعرضه أو أسرته إلى خطر شخصي، فالأطفال يمكنهم التواصل مع أي أحد عبر الإنترنت لا يحدهم في ذلك مظهر ولا عمر، وهو ما يضفي شعوراً بالحرية والانطلاق على العلاقات الناشئة عبر الإنترنت. وقد تنشأ علاقات متينة عبر أحاديث الإنترنت وحدها ويترسخ معها شعور عميق بالثقة في الطرف الآخر المجهول. وهنا يكمن الخطر، لأن الناشئ يتحدث مع شخص غريب قد يكون حديثه صحيحاً أو غير ذلك. وأيضاً يمثل البريد الإلكتروني وما يحتويه من رسائل أعظم خطراً يهدد الناشيء وتضيره، لما تضمنه

من رسائل دعائية تدعو للمشاركة في مسابقات وسحوبات ومنها رسائل تشجع على إقامة علاقات الصداقة والدردشة غير المشروعة عبر الإنترنت، أو رسائل تقود الناشئة إلى مواقع مشبوهة تضم صوراً وأفلاماً يجب ألا يطلع عليه الكبار فضلاً عن الصغار، ولا ننسى الفضول الذي يدفع بالناشئة إلى فتح هذه الرسائل فمنهم من ينزعج منها ويصدها ولا يخبر والديه بها، ومنهم لا يعلم إذا كانت مفيدة أم لا؟ وهل ينبغي فتحها أم لا؟[1].

◻ مسؤولية الآباء والمربين في تحقيق الاستخدام الصحيح للإنترنت:

إن مسؤولية الآباء والمربين تتمثل في وقاية أبنائهم من خطر هذه الشبكة، **وذلك عن طريق:**

١ ـ استخدام الأساليب التي تحمي الناشئة من التعرض للمواقع المشبوهة والتعرف على البرامج التي تتيح رقابة المربي على الإنترنت واستخدامها لمنع هذه البرامج، أو استخدام خيار تخزين ملف بعناوين المواقع التي تزار على الإنترنت ويتحقق منها مرة أسبوعياً، والتأكد من المواقع التي يدخلها الناشئة والوقت الذي يقضونه فيها.

٢ ـ تحديد القواعد الأساسية للناشئة عند التفاعل مع أشخاص آخرين عبر الإنترنت ومنها:

أ ـ عدم الكشف عن الرقم السري للاتصال بالإنترنت لأي شخص.

ب ـ عدم البوح بآلية معلومات شخصية عنه.

---

(١) انظر: المرجع السابق ص: ٥٥، ٥٦، والأطفال والبريد الإلكتروني، محفوظ عبد الرحمٰن، مجلة أحوال المعرفة، العدد (٣١)، ص٦٧.

ج ـ عدم إرسال صور لنفسه أو لأي أحد من أفراد عائلته عبر الإنترنت.

د ـ عدم المواصلة في حديث يشعره بعدم الارتياح مع أي شخص على الإنترنت.

هـ ـ عدم كشف عنوان سكنه لاستلام منتج ما بالبريد.

٣ ـ اتخاذ الإجراءات الصارمة للحد من تعرض الناشئة لاستقبال تلك الرسائل، **ومن هذه الإجراءات:**

أ ـ تعزيز الحوار بين الآباء والأبناء وتوعية الأبناء تجاه ما يمكن أن يصلهم من محتوى وصور مشبوهة والعودة إلى الآباء عندما يجدون في بريدهم شيئاً من تلك الرسائل.

ب ـ توعية الأطفال إلى عدم ذكر أي معلومات شخصية تطلب منهم عن طريق الرسائل، وخاصة أن الكثير من الشركات تستغل الأطفال للحصول على هذه المعلومات مثل أسمائهم وعناوينهم.

ج ـ تدعيم الثقة المتبادلة بين الآباء والأبناء.

د ـ التعرف على نوعية الأصدقاء الذي يقضي الأبناء أوقاتهم معهم[١].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: الأطفال والبريد الإلكتروني ص٦٨.

المبحث الثالث
خطر بعض النظريات المعاصرة وبيان المآخذ الشرعية عليها

❐ تمهيد:

إن المتأمل في الفكر التربوي عبر التاريخ يجد ذلك التباين بين الأمم والمجتمعات الإنسانية في اختيار نظرية تربوية ينطلقون منها في ممارستهم وتطبيقاتهم التربوية، فلكل مجتمع تربية خاصة تميزه عن سائر المجتمعات يحقق عن طريقها أهدافه وطموحاته، بل إن المجتمع الواحد يمر بمتغيرات تربوية تختلف من عصر إلى آخر تفرضها المستجدات والمتغيرات الجديدة التي يمليها التطور والتقدم.

وعلى الرغم من وجود ذلك التميز الخاص للتربية في كل مجتمع عن بقية المجتمعات، فإن ذلك لا يمنع من الإفادة مما لدى الآخرين في مجال التربية والتعليم بأخذ المفيد الذي يقره الشرع والعقل السليم، واستبعاد غيره مما لا يتفق مع أصولنا الإسلامية المتمثلة في كتاب الله وسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام، وهذا يتطلب مراجعة الفكر التربوي القادم إلينا مراجعة تقوم على معايير مبادئ الدين الإسلامي الحنيف.

كان لجان جاك روسو (١٧١٢ ـ ١٧٧٨م): «أحد فلاسفة التربية الذين كان لهم آثار على التربية سواء في الأفكار أو الممارسات، وقد أحدث منعطفاً بارزاً في قضايا التربية الحديثة التي يطلق عليها (التربية المتمركزة حول الطفل) وضرورة مراعاة مراحل نمو الإنسان وطبيعته، والاهتمام بالحواس إلى غير ذلك من الأفكار.

ومن المعروف أن «روسو» قد ضمن جل فكره التربوي في كتابه المعروف «إميل» (صدر عام ١٧٦٢م) ونظراً للأثر الذي تركه على معظم المدارس التربوية الحديثة وروادها الغربيين ووصول ذلك الأثر إلى التربويين المسلمين والمكتبة التربوية والكتب المقررة على طلاب التربية وإعداد المعلمين، كان من الضروري الوقوف على أبرز السلبيات حتى تتبين الأخطاء ليتم طرحها، ومن ثم يأتي التوجه إلى الحلول البديلة التي تتفق مع الدين الإسلامي فيكون الأثر الإيجابي على الناشئة المسلمة»[١].

❐ أولاً: افتراضات روسو عن مراحل النمو:

«جاءت دعوة روسو إلى تربية تراعي مرحلة نمو الإنسان في ظل عصر يعامل الطفل على أنه رجل صغير، فقد أكد على أن لكل مرحلة من مراحل النمو الإنساني خصائص معينة تتعلق باحتياجاته وميوله واستعداداته، وعلى ضوء هذه الخصائص ينبغي أن يعامل المتعلم، كما أنه يرى بأن مرحلة الطفولة من أهم مراحل النمو الإنساني التي يجب أن توجه لها العناية والرعاية من أجل نمو سليم. وقد قسم روسو مراحل نمو المتعلم إلى أربع مراحل، فالمرحلة الأولى: من الولادة وحتى الخامسة، والثانية من الخامسة حتى الثانية عشرة، والثالثة من الثالثة عشرة إلى الخامسة عشرة، والرابعة من الخامسة عشرة إلى العشرين. وقد تميزت كل مرحلة من المراحل بخصائص جسمية ونفسية معينة وبميول واحتياجات نابعة من طبيعة الطفل نفسه»[٢].

---

(١) انظر: نظرية «روسو» التربوية دراسة تحليلية ناقدة من منظور التربية الإسلامية ص٣ ـ ٦، رسالة دكتوراه مقدمة من ظافر سعيد الشهري.

(٢) المرجع السابق ص٢١٣.

أ- المرحلة الأولى (من الميلاد حتى خمس سنوات):

تتركز اهتمامات روسو في هذه المرحلة على:

١ ـ احتياجات الطفل الجسمية:

من رضاعة طبيعية وحركة جسمية، فقد أنكر على الأمهات اللاتي يتركن أطفالهن للحواضن «المأجورات ليكن أمهات لأطفال غرباء لا يجدن في طبيعتهن باعثاً فطرياً نحوهم»[(١)]، ويرى أن الحرمان من لبن الأم هو الأصل الذي تبعث منه جميع الشرور»[(٢)]، فهو ينبه إلى حاجة الطفل العاطفية إلى الأم الحنون.

أما حركة الطفل فهي من الحاجات الأساسية في هذه المرحلة خصوصاً في المراحل الأولى التي اعتاد الناس على تكبيلها: «وعندما يأخذ الطفل أنفاسه الأولى، لا تكبلوه في الأقمطة المحكمة ولا تضعوا على رأسه تلك الطواقي، بل اجعلوا لفائفه واسعة فضفاضة بحيث تتاح لأطرافه الحرية التامة، ومن قماش غير ثقيل حتى لا يعوق حركته»[(٣)].

٢ ـ الخصائص العقلية:

«يؤكد روسو أن قدرات الطفل العقلية محدودة، فيجب أن لا يهتم كثيراً بالمعلومات الجاهزة، ويحذر على نحو مركز من الإكثار من المعلومات التي تنهال على ذهن الطفل الضعيف؛ لأن ضررها قد يكون أكثر من نفعها[(٤)]، . . . «فالإنسان له مكانه المحدد في ترتيب الموجودات الطبيعية، والطفولة لها مكانها المحدد في ترتيب الحياة البشرية، لذا يجب أن نعتبر الطفل في الطفل»[(٥)].

---

(١) إميل، جان جاك روسو ص٣٥. (٢) المرجع السابق ص٣٧.
(٣) المرجع نفسه ص٦٢.
(٤) انظر: روسو دراسة تحليلية ناقدة ص٢١٤.
(٥) المرجع السابق ص٨١، ٨٢.

والعبارة الأخيرة تفسر «بأننا نجهل الطفولة الجهل كله. . . فالمربون يبحثون دوماً لدى الطفل عن الراشد دون أن يفكروا بما هو عليه قبل أن يصبح راشداً»[١].

٣ ـ نمو الحواس:

«لأن الطفل يميل إلى استخدام حواسه في التعرف على الأشياء فيجب مراعاة ذلك في هذه المرحلة وفي مطلع الحياة، فحينما تكون الذاكرة والمخيلة غير نشيطتين لا يتنبه الطفل إلا لما يؤثر فعلاً في حواسه، «فميوله التي تساعد على التعلم في هذه المرحلة حاسية (مثل النظر والسمع واللمس والذوق)، ويميل أيضاً إلى الحركة الذاتية وتحريك الأشياء، وإنه يميل إلى لمس كل شيء وتحريك كل شيء، فلا تعارض هذا الاتجاه مطلقاً فإنه يتعلم بهذه الوسيلة ويتدرب»[٢].

ب ـ المرحلة الثانية يدرس روسو عدة جوانب منها:

١ ـ الاهتمام بالجانب الجسمي واستخدام الحواس:

فهو يرى ألّا يفرض على التلميذ في هذه المرحلة كما في سابقتها شيء قبل أوانه، وأن يتمهل المرء حتى لا يفرض على تلميذه شيئاً في غير أوانه»[٣].

٢ ـ تقسيم الحاجات إلى حاجات ضرورية وغير ضرورية:

يرى أن للطفل حاجات حقيقية وضرورية، وطلبات غير ضرورية، فيجب أن يتنبه المربي «لها، فلا ينبغي إذا عمد إلى البكاء الإسراع في تنفيذ رغبته، بل أن يُرفض تنفيذ تلك الرغبة رفضاً قاطعاً، أما إذا كانت حاجته الحقيقية هي التي أنطقته فيجب أن يُفطن لذلك والقيام بما

---

(١) انظر: التربية عبر التاريخ، عبد الله عبد الدايم ص٣٧٩.
(٢) إميل، جان جاك روسو ص٦٥. (٣) المرجع السابق ص١٠٩.

طلبه فوراً»[١].

«فروسو يرى أن يجتهد المربي في عدم تلبية رغبات الطفل في الحصول على الأشياء؛ لأنه يريدها، بل يلبيها فقط عندما يكون الطفل في حاجة لها»[٢].

٣ ـ عدم استعداد الطفل لإدراك الأفكار والمعاني:

يرى عدم اكتمال استعدادات الطفل لإدراك الأفكار والمعاني؛ فهو وإن حفظ العبارات اللفظية ورددها إلا أنه لا يفقه معانيها، فالطفل يتذكر الألفاظ جيداً ويعيدها بحذافيرها فيفهمها السامع الكبير، في حين أن الطفل وهو يقولها ويعيدها لا يفقه معناها ويقول: فهم أي الأطفال يعون في ذاكرتهم أصواتاً وأشكالاً وإحساسات، أما المعاني والأفكار فقلما يعونها في ذاكرتهم[٣].

إن هذه المرحلة والسابقة لها عند روسو ـ وهي مراحل الطفولة ـ تعتمد على استخدام الحواس والحركة والنشاط الجسمي، وهي مراحل تعكس الصور كالمرآة دون وعي بمدلولات الألفاظ أو الكلمات والأفكار، ويعبر عن الطفولة في المرحلة الثانية في جانبها العقلي بقوله[٤]: «الطفولة هي نعاس العقل»[٥].

ج ـ المرحلة الثالثة من (١٢ ـ ١٥) سنة:

ومن أبرز الخصائص في هذه المرحلة:

١ ـ التفكير والتأليف بين عمل الأعضاء والحواس.

---

(١) المرجع السابق ص٨٥.
(٢) انظر: نظرية روسو دراسة تحليلية ناقدة ص٢١٥.
(٣) المرجع السابق ص١١٦، ١١٧.
(٤) انظر: روسو التربوية دراسة تحليلية ناقدة ص٢١٥، ٢١٦.
(٥) كتاب إميل، جان جاك روسو ص١١٦.

٢ ـ الخصائص الاجتماعية.

د ـ المرحلة الرابعة (من ١٥ ـ ٢٠) سنة:

ومن خصائص هذه المرحلة التي يجب مراعاتها التغيرات الجسمية والانفعالية السريعة.

❐ ثانياً: نقد افتراضات روسو عن مراحل النمو:

«قسم روسو مراحل نمو الإنسان كما سبق إلى أربعة مراحل، وقد جعل لكل مرحلة خصائص تتناسب مع كل مرحلة وذلك لتحديد الأهداف والوسائل والطرق والمعارف والمهارات اللازمة لكل مرحلة، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المراحل ودعا إلى الاهتمام بها، ومن الآيات القرآنية الكريمة التي توضح مراحل النمو والتدرج[1] قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥].

والدارس في كتب الفقه والثقافة الإسلامية يجد الأدلة القرآنية والنبوية الكريمة على مراعاة تلك المراحل وأحكامها وخصائصها ومتطلباتها، ومن الكتب التي اختصت بوضع دراسة عن مراحل النمو وما يصلح فيها من تربية إسلامية ما ألفه ابن الجوزي بعنوان: تنبيه النائم الغمرْ على مواسم العمر، وفي هذا الكتاب ذكر لمراحل سمَّاها مواسم العمر، **وهي كما يلي:**

الموسم الأول: من وقت الولادة إلى زمان البلوغ، وذلك خمس عشرة سنة.

---

(١) انظر: نظرية روسو التربوية دراسة تحليلية ناقدة ص٢٤٢.

الموسم الثاني: من زمان بلوغه إلى نهاية شبابه، وذلك إلى تمام خمس وثلاثين.

الموسم الثالث: من ذلك الزمان إلى تمام الخمسين سنة.

الموسم الرابع: ما بعد الخمسين إلى تمام السبعين.

الموسم الخامس: ما بعد السبعين إلى آخر العمر[(١)].

وهناك من قسم مراحل النمو من منظور تربوي إسلامي وهي:

١ ـ مرحلة الرضاع: حتى نهاية السنة الثانية من العمر.

قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وذكر المؤلف فيها خصائص وحاجات المرحلة والآداب الإسلامية مع المولود.

٢ ـ مرحلة الحضانة: من ثلاث سنين حتى نهاية السادسة:

وسُميت حضانة لأن المربي يحمل الطفل إلى حضنه، هذا هو الأصل، ثم انتقل الفعل إلى معنى مجازي ذكره المعجم الوسيط «حضن الرجل الصبيَّ: رعاه ورباه فهو حاضن»[(٢)]، والمصدر (حضانة) كما هو عليه الأصل. إلى جانب الحقوق اللازمة، الخصائص المعروفة للمرحلة تبرز فيها تأثير توجيهات الأبوين الأخلاقية والعقدية على الصغير قال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه**»[(٣)].

٣ ـ مرحلة التمييز: (من السابعة حتى البلوغ):

«ويذكر المؤلف فيها خصائص هذه المرحلة وآداب السلوك واحتياجات الطفل الروحية والجسمية والعقلية فيها، ويبرز فيها الجانب الديني وكيفية توجيه إدراك الصغير لأوامر الدين بطريقة متدرجة، قال ﷺ:

---

(١) تنبيه النائم الغَمْر على مواسم العُمْر، لابن الجوزي ص٤٦.
(٢) المعجم الوسيط (ح ض ن) ١/ ١٨٢. (٣) سبق تخريج الحديث.

«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع»[(١)].

وفي الحديث فوائد كثيرة فيها مراعاة قدرة الصغير على التقليد وتعويده على الصلاة وإن لم يدرك، حتى تصبح عادة طيبة لديه، ومنها تحقيق التربية الوقائية للطفل بفصله عن إخوانه وأخواته في هذه السن، وبالتالي تتهذب أخلاقه ويحافظ على فطرته حتى يصل لمرحلة البلوغ وقد تعوَّد العفة والاحتشام والحياء بدون إثارة لغرائزه»[(٢)].

٤ ـ **مرحلة البلوغ**: وهي من حوالي العاشرة حتى السادسة عشرة:

«ومن خصائصها الميول الجنسية، والتقليد والاهتمام بالبطولات والميل للنقد، والرغبة في الإصلاح، والنمو الانفعالي، ولكل جانب توجيهات قرآنية ونبوية كريمة.

ثم تأتي **مرحلة الرشد**: (من السابعة عشرة حتى الأربعين)، ثم **مرحلة الشيخوخة**: (من الخمسين إلى آخر العمر)»[(٣)].

وعند النظر في افتراضات روسو عن التعلم في المراحل الأولى نجد أنه يركز على الجانب الجسمي، ويبدأ بتدرج في العناية به وهو جانب إيجابي لروسو، ولكنه لم يشمل جانبي الروح والعقل بالدرجة نفسها، فهو ويرى أن من الخطأ تعليم (إميل)[(٤)] قبل الخامسة عشرة أفكاراً لا يستطيع إدراكها بعقله عن الغيبيات، ويرى أن الطفولة فترة غير ناضجة للعقل[(٥)].

---

(١) سبق تخريج الحديث.

(٢) نظرية «روسو» التربوية دراسة تحليلية ناقدة من منظور التربية الإسلامية، ظافر بن سعيد الشهري ص٢٤٤.

(٣) انظر: مراحل النمو في ضوء التربية الإسلامية، خالد حامد الحازمي ص٤٠ ـ ٤٤.

(٤) اسم الطفل كان محور كتاب روسو يخاطبه فيه ويوجهه، وقد أسمى كتابه باسمه.

(٥) انظر: كتاب إميل، جان جاك روسو ص١١٦.

ومع أن العقل غير ناضج فعلاً في هذه المرحلة إلّا أن التربية الإسلامية لا تهمل هذا الجانب كلياً، بل تراعي السير وفق قواعد متدرجة في مخاطبة عقل الطفل حيث يتابع الآداب والعقائد المتفقه مع قدرة الاستيعاب بعد ذلك. ويحس فيها دائماً الانتقال من المحسوس إلى المجرّد.

ثم تأتي الصلاة من سن السابعة عن طريق الأمر المستمر دون قسوة حتى سن العاشرة، وهكذا يتدرج حتى سن التكليف والبلوغ والإدراك العقلي، فكما يتدرج المربي في تنمية الجوانب الجسمية كذلك يكون التدرج في الجوانب الأخرى.

أما قوله بتأخر جوانب الدين والاعتقاد حتى سن ما بعد الخامسة عشرة.

فهذا أمر ضار بدين المتعلم، وقد يؤدي إلى تعود الشاب على حب التفلت وعدم التقيد بتعاليم الدين، وصعوبة الرجوع إلى الفطرة الإسلامية، فتنشئة الطفل على الطاعات وتعميق العقيدة في نفسه من أهم ما ينبغي على المربي القيام به في كل مرحلة من مراحل عمر الطفل بحسب قدراته واستيعابه حتى ينشأ وقد أدرك دينه وطبقه وعمل به وكان له حصناً منيعاً من الانحلال والانحراف الديني والأخلاقي، والقرآن الكريم في منهجه التربوي اهتم بجميع الجوانب العقدية والجسمية والروحية للطفل ووازن بينهما، وأعطى كل جانب حقه، مما يؤدي إلى تكامل شخصية الطفل مقارنة بغيره من الأقران في ظل النظريات التربوية الأخرى[1].

❐ ثالثاً: افتراضات روسو عن طرق التدريس:

«تركزت اهتمامات روسو بالنسبة لطرق التدريس على أن يكون

(١) انظر: نظرية روسو التربوية دراسة تحليلية ناقدة ص٢٤٧.

للمتعلم دور فعال وذاتي في التعلم إلى جانب مشاركة المعلم في الأنشطة والخبرات التعليمية التي تعتمد على الملاحظة والتجربة والكشف، مع تنظيم مستمر للمواقف التعليمية من قبل المعلم.

ولذلك فإن المتعلم يتميز بإعطائه أدواراً تطلق له زمام المبادرة والتصميم على التعلم الذاتي، أما طرق التدريس المعتمدة على النقل اللفظي والقراءة فلم يكن لها نفس الاهتمام من قبل روسو رافضاً تدخل الراشدين والمعلمين المباشر لفرض تقاليد المجتمع وتلقينها للصغار»[١]، وفيما يلي افتراضات روسو عن أهم طرائق التدريس الرئيسية، وإلى أي مدى يمكن استخدام كل منها من وجهة نظره:

أ ـ تنظيم المواقف التعليمية والتربية السلبية:

وفي هذه الطريقة يكون أغلب التركيز على المتعلم الذي لا ينتظر التلقين من الآخرين ويكون دور المعلم هو تنظيم المواقف التعليمية حتى يتم التعلم الذاتي، وتبرز هنا دعوة روسو للتربية السلبية «يقول روسو: فالتربية الأولى ينبغي إذاً أن تكون تربية سلبية خالصة»[٢]، حيث لا يرى تلقين الطفل ما ينبغي عمله وما لا ينبغي عمله (التربية الإيجابية)، ولكنه يرى منع الرذائل من أن تصل إلى المتعلم.

ويبدأ الطفل الصغير في تعلمه الذاتي من إحساسه بالألم عندما يتخذ وضعاً سيئاً، ولذلك فإن روسو يبدأ بفكرة رفض القماط وربط الطفل الصغير[٣]، «ثم بعد أن يكبر الصغير يرى روسو أن يتم تعريضه لاختلافات الفصول والأجواء والجوع والعطش والتعب بقوله»: وحتى إن

(١) نظرية «روسو» التربوية دراسة تحليلية ناقدة ص٣٣٠.
(٢) كتاب إميل، جان جاك روسو ص٩٨.
(٣) انظر: نظرية روسو التربوية دراسة تحليلية ص٣٣٠.

وجد بعض الخطر فليس من الخير أن يردنا عما اعتزمناه»[١]، «وعن طريق معرفة تلك التغيرات والأخطار بطريقة مباشرة يتعلم الطفل ذاتياً ما هو خطر أو غير خطر، وما هو خير وما هو شر.

إن روسو في تأخيره للمعرفة الدينية والخلقية التي يفرضها مجتمعه عادة على الصغار، قد جاءت من قناعة بعدم جدواها مع الطفل، وأنها ليست من شأنه، ولذلك فهو يقول: «الحقيقة أن معرفة الخير والشر والأسباب التي يقوم عليها الواجبات الأخلاقية ليست مطلقاً من شأن الطفل»[٢].

ويوضح روسو مدى تدخل المعلم في تنظيمه للمواقف التعليمية فيرشد إلى عدم تحريم شيء ما كلامياً بل يكون المنع عملياً، وكذلك المسموح به يعطى للمتعلم دون تردد فيقول: «أما ما يجب أن يمتنع عن إتيانه فلا تحرمه بالكلام، بل امنعه من عمله بغير إيضاح وبغير مجادلة، وما تريد أن تسمح له به اسمح له به عند أول طلب من غير إلحاح أو توسل»[٣].

وتتلخص طريقة روسو هذه في دعوته المعلم إلى تهيئة الأشياء والأشخاص المساعدة على تعلم الإيجابيات من خلال الاحتكاك المباشر بها، وفي الجانب الآخر يحرص المعلم على منع تسرب الرذائل إلى المتعلم والمحافظة على بقائه جاهلاً بها إلى نهاية مرحلة الطفولة[٤].

يقول روسو: «إذن فالواجب الأول هو تخير الأشياء التي تتأثر بها حافظته والأشخاص الذين يخالطهم وإقصاء ما لا ينبغي أن يطلع عليه

---

(١) كتاب إميل، جان جاك روسو ص٩٨. (٢) المرجع السابق ص٩٥.
(٣) المرجع السابق ص٩٧.
(٤) نظرية روسو التربوية دراسة تحليلية ناقدة ص٣٣٠، ٣٣١.

حتى يعرف ما يجب، ويجهل ما لا يجب»[١].

وقد لخص فاضل الكعبي نظرية الحرية للطفل ودور المعلم فيها بقوله:

«ينصح روسو المعلمين ومن على طريقتهم من المربين والكُتَّاب والأدباء الذين يتوجهون لمخاطبة الطفل ويعنون بثقافته، أن يجعلوا الطفل أكثر انطلاقاً في آليات التحكم التربوي والثقافي، وأن لا يكون هذا التحكم تحكماً آلياً مقيتاً هدفه الإخضاع والسيطرة على قدرات الطفل وحواسه.. بل أن يكون التحكم ضابطاً أخلاقياً لنظم المجتمع وقيمه الثقافية والاجتماعية المتجددة، وكذلك أن يكون التحكم أسلوباً مرناً في الأخذ والعطاء الإيجابيين بين الطفل والمربي، ليصبح هذا الأسلوب بمرونته وطواعيته، غاية ثقافية وتربوية وتعليمية سامية، هدفها تفعيل نشاط الطفل، وتطوير قدراته، وتوسيع مخيلته، بالاتجاهات الإيجابية التي تضمن له الحرية المنضبطة، في واقعه الموضوعي، ليصل بذلك إلى تعزيز محصلاته الثقافية والتربوية، تعزيزاً إيجابياً، ويضيف قوة إلى قوة التعزيز الإيجابي للقيم الثقافية والتربوية والاجتماعية وأطرها العلمية في المجتمع، وفي ممكنات بنائه الثقافي والاجتماعي والتربوي.. من هنا ينطلق روسو في نصيحته، مخاطباً المعلمين والمربين ومن بحكمهم، ممن يعنون بتربية الأطفال بقوله: (دع الطفل يعتقد أنه دائماً المتحكم، مع أنك ترى «أي: المعلم» من يسيطر عليه في الواقع) لكي ينطلق بقدراته ومدركاته إلى الآفاق الواسعة التي يريد بلوغها، مثلما أنت تريد له ذلك في تحكمك التربوي والثقافي والاجتماعي به، من خلال حفظ لحريته.. وكما يذهب روسو باعتقاده إلى القول: (ليس ثمة إخضاع كامل

(١) كتاب إميل ص١٢٣، ١٢٤.

كالإخضاع الذي يحفظ مظهر الحرية)[١].

وقد كان لهذه الآراء أصداء واسعة حيث لفتت الانتباه إلى الاهتمام بعالم الطفل من جهة وألقت الضوء على ضرورة إعطاء الطفل الحرية مع الرقابة الخفية. وهذه أمور لا غبار عليها حتى من وجهة النظر الإسلامية.

❐ رابعاً: نقد التربية السلبية عند روسو:

ـ المآخذ على التربية السلبية عند روسو:

١ ـ إن الاعتماد على طريقة التلقين بشكل كلي ومستمر أمر لا يصلح لمرحلة الطفولة حيث القدرات العقلية لا تستوعب أو تفهم الكثير من الألفاظ والمعاني، ولكن رفض تلقين بعض مبادئ الفضيلة والحق لا يتفق مع التوجيهات النبوية الإسلامية؛ فقد ورد أمر الأطفال ببعض الأعمال وفعل العبادات مثل الصلاة بعد سن السابعة كما قال ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»[٢].

«ومثل هذه التوجيهات ضرورية وهي لا تكلف عقل الصغير الكثير من الجهد، ولكنها تعوِّده الأفعال الحسنة، وتعوِّده البعد عن السيئات والأخطاء بطريقة سهلة ومقبولة في مرحلة الطفولة، فعن عمر بن أبي سلمة[٣] قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا غلام، سمِّ الله تعالى وكل بيمينك،**

---

(١) آراء روسو في ثقافة الطفل، فاضل الكعبي، جريدة التآخي العدد (٣٠)، ٢٠٠٥م.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) هو: عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد القرشي المخزومي ربيب الرسول ﷺ، أمه أم سلمة زوج النبي ﷺ، يكنى بأبي حفص، روى عن النبي ﷺ أحاديث توفي سنة (٨٣هـ)، وقيل غير ذلك.
انظر: أسد الغابة ٤/ ١٦٩، وتهذيب التهذيب ٥/ ٣٨.

وكل مما يليك»[(١)].

وبهذا فإن تعليم الصغار ما يتفق مع قدراتهم العقلية والجسمية أمر مطلوب في التربية الإسلامية، فمثلاً تعليم الأطفال الصلاة لا يعني تكليفهم بها قبل سن التكليف ولكنها استغلال لقدرات الطفل في التقليد والمحاكاة في هذه المرحلة لترسيخ بعض الأقوال والأفعال وخصوصاً الصلاة وهي عماد الدين وركنه العظيم»[(٢)].

فالتلقين المباشر لأساسيات الدين في هذه الفترة من الطفولة المبكرة هام للغاية؛ لأن الولد لا يفهم معظم تصرفات الكبار فيكون تلقيه المفاهيم الصحيحة وسيلة سهلة؛ لأن الولد مستعد للتقبل والاقتناع.

٢ ـ إن رفض روسو للنهي اللفظي عن الوقوع في الخطأ في تربيته السلبية وتركه للطفل يتلقى جزاءه الطبيعي «عندما يكسر زجاج نافذته مثلاً يتركه يتلقى جزاءه طبيعياً أي من البرد القارس في ليلة مثلجة حتى يتعلم حجم خطئه وفضيلة المحافظة على الأشياء»[(٣)]، وهذا بالطبع يؤدي في بعض الأحيان إلى هلاك الطفل، فلو منع الكبار الطفل من فتح النافذة في ليالي الشتاء الباردة وأخذوا على يديه لكان في ذلك الخير بدلاً من تركه لرغباته التي قد يكون فيها هلاكه»[(٤)]، ولأن المربي تقع على عاتقه مسؤولية الوقاية لمن يقعون تحت مسؤوليته وذلك بالتوجيه والإرشاد، وبيان الخطأ وبيان الصواب، والخير والشر سواء كان الأمر دينياً أو

---

(١) صحيح مسلم كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم الحديث (٢٠٢٢).

(٢) نظرية روسو التربوية دراسة تحليلية ص٣٥٧، ٣٥٨.

(٣) كتاب إميل ص٣٦ ـ ٣٩.

(٤) انظر: نظرية «روسو» التربوية دراسة تحليلية ص٣٥٨.

دنيوياً، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

ولعل التوجيه غير المباشر الذي يمكن أن يتعلمه الطفل من خلال اللوحات الإرشادية والقصص الهادفة دور الوسيط في أمور كهذه، فإن يكلفنا التوجيه صورة ملونة تضمن فكرة أقل كلفة من أن يجرح الطفل يده بزجاج النافذة لكي يتعلم!! ثم إن لنمذجة التوجيه دور فعال في اتقاء شرور التجربة المباشرة الكاملة، وأضرب لذلك مثلاً من الواقع: فمن المعلوم أن الطفل لا يكون لديه مفهوم سبق عن النار (النار الدنيوية) ومن غير الملائم أن تترك الطفل يحرق يده حرقاً بليغاً بتعريضه لوضع يده فيها، وقد نجحت تجربة ذاتية نموذجية في ذلك عن طريق (القداحة) التي توضع أمام الطفل وقد ظهر اللهب في أعلاها ثم يحذّر الطفل منها بصوت ملائم فيشتد انتباه الطفل ثم تطفأ (القداحة)، وبعد لحظات وقبل أن تزول برودتها توضع على يد الطفل ليشعر بحرارتها المزعجة وغير المؤذية في الوقت نفسه عند ذلك سنرى الطفل يبعد يده مقرراً ألا يقرب القداحة نهايتها في المرحلة الأولى، ثم يستنتج أن لا يقربها بعد أن تطفأ مباشرة، ثم يستنتج أن الخطر الأول إنما هو من اللهب التي يسخن القداحة فتكون بذلك قناعة الطفل بتماشي اللهب.

كما نهى ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما عندما أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها الحسن في فيه، فقال له رسول الله ﷺ: «**كخ، كخ، إرم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة**»[1]، فرسول الله ﷺ ينهى الحسن رضي الله عنه قولاً ويطالب الصغير برميها، ثم يسأله وهو طفل ليلقنه مبدأ معيناً، وهو أن آل البيت لا يأكلون الصدقة، ثم إنه يسأل الطفل بقوله: أما علمت؟ فمن

(١) انظر: نظرية روسو دراسة تحليلية ناقدة ص٣٥٨.

الذي يفترض أنه علمه؟ قد يكون والداه ﷺ أولى الناس بتعليمه هذا الشيء، والخلاصة أن الصغير لا يدرك الأسباب والنتائج والمقدمات، ولكن التربية الإسلامية لا تعفي المربين من التدخل والتوجيه والإرشاد بما يتفق مع مصلحة الطفل وقدراته.

٣ ـ وتربية الطفل حتى سن الثانية عشرة تربية سلبية، دون أمر شفوي بالمعروف أو دعوة بخير ونهي عن منكر أو فساد، سوف يعوِّد الطفل على الحرية المطلقة وعدم تقبل النصح والإرشاد لعدم تعوده في الصغر على كبح الشهوات الفردية والاستقلالية في التفكير بعيداً عن أي مرجعية تضبط للمجتمع اتزانه وحقوقه، فلا بد من الأخذ على يد المخطئ صغيراً كان أو كبيراً وإلا عادت آثار الخطأ ونتائجه على الجميع قال ﷺ: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً**»[(١)].

فالسفيه كبيراً كان أو صغيراً لا يترك لحريته يفعل ما يشاء، ولكن لا بد من تدخل العقلاء وتوجيه السفيه والصغير، وإلا فقد يتصرف تصرفاً يكون فيه هلاك الجميع»[(٢)].

ومن الخير كما ذكرنا تصعيد التوجيه ليميل نحو اللامباشرة، فنضمن بذلك محاسن آراء روسو وأهداف التربية الإسلامية.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، رقم الحديث (٢٤٩٣).

(٢) نظرية «روسو» التربوية دراسة تحليلية ناقدة ص٣٥٧ ـ ٣٦٠.

❐ خامساً: بين التربية الإسلامية ونظرية روسو التربوية:

إن لكل أمة توجهاتها التربوية وإن التقت تلك التوجهات في معايير أخلاقية كثيرة بين المدارس التربوية، غير أن للتربية الإسلامية أهدافاً تميزها تمييزاً واضحاً عن سائر النظريات الغربية، ومن هنا فمدى نجاح التربية في بلادنا لا يمكن أن يقاس على أهداف المدارس الغربية؛ لأنها مختلفة عنها اختلافاً واضحاً.

فما هي أهداف التربية الإسلامية؟

لخص الدكتور مقداد يالجن أهداف التربية الإسلامية بأربعة أهداف أساسية، ثم قام بالتحدث التفصيلي عنها في كتابه «أهداف التربية الإسلامية وغايتها»، **وهذه الأهداف هي:**

«١ ـ البناء العلمي.

٢ ـ بناء إنسان مسلم متكامل الجوانب الشخصية.

٣ ـ بناء خير أمة مؤمنة أخرجت للناس.

٤ ـ بناء خير حضارة إنسانية إسلامية»[(١)].

وظاهر أننا لا نجد من هذه الأهداف في النظريات التربوية الغربية سوى الهدف الأول فحسب. على أننا نجد في الأهداف التربوية الغربية طلباً للقيم الأخلاقية وقيم الفضيلة دون شك، لكنه طلب يسير على غير هدى، وليس له ضوابط، وكانت نتائجه في واقع المجتمع الغربي مخيبة للآمال باعتراف قياداتهم الفكرية والسياسية على حد سواء.

إن ما يمكن أن تلتقي به النظرية التربوية الإسلامية (التي يرجى لها أن تطلع إلى النور بشكلها المتكامل) مع آراء (روسو) أشياء كثيرة منها:

---

(١) أهداف التربية الإسلامية وغايتها، مقداد يالجن ص٤١.

ما ذكره روسو من أن كل ما خرج من بين يدي خالق الأشياء حسن خيّر وكل شيء يفسد بين أيدي الناس[١].

وقال أيضاً: «لنؤمن إيماناً لا مرية فيه بأن الحركات الأولى للطبيعة هي دوماً قوية رشيدة، وما من فساد أصيل في القلب البشري»[٢].

فهذا هو الذي يسمِّيه الإسلام (فطرة الإسلام)، وأطلقه مدويّاً بعبارات الرسول الكريم: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه، أو يمجِّسانه، أو ينصِّرانه...**»[٣].

فالطفل لا يولد عارفاً بالكذب ولا الخداع، وهذا ما يضحك منه بعض المربين في أثناء مراحل تعليمهم ويطلقون عليه (البراءة عند الطفل)، وهنا أحب أن أشير إلى تحاشي السخرية من الطفل إذا تصرف تصرفات بريئة تدل على فطرته السليمة الطاهرة؛ لأن هذا من أسباب تلويث تلك الفطرة النظيفة، وهنا نقطة الالتقاء الثانية مع آراء (روسو)، فهو رأى كما ذكرنا قبل أسطر أن كل شيء يفسد بين أيدي الناس، ومراد روسو في هذا يقابل تلويث الفطرة (في المفهوم الإسلامي)، ولذلك كانت معنى الحنيفية: عدم الميل عن فطرة التوحيد التي فطر الله الناس عليها.

ويلتقي (روسو) مع المفهوم الإسلامي للمربي فهو يلح ألّا يأسر إرادة الطفل نفسها، «وإن حدث ذلك فإن إرادة الطفل ستكون ضعيفة خاضعة لدوافع خارجية، قد تجعلها سهلة التحكم فيها، والانقياد إليها.. إذ يوضح روسو هنا أن الطفل كائن ضعيف، ونحن من نعينه؛ لأنه خاضع لنا، وواقع تحت رحمتنا... لذلك نحن من يجعله ينمو أو لا ينمو، ونحن من يرتب عوالمه وأشياءه.. ونحن من يهديه إلى

(١) انظر: التربية عبر التاريخ ص٣٧٨. (٢) المرجع السابق.
(٣) سبق تخريجه.

الصواب.. ويجنبه الخطأ.. ونحن من يعمل له الألعاب.. ونحن من يفرحه ويحزنه.. هذا يعني أن كل ما نريده لهذا الطفل لا بد من أن يكون وحسبما نريد ونشتهي، إذاً من السهولة التأثير عليه، وتسييره على وفق ما نريد ونتمنى.. ولكن؟.. علينا أن نستخدم قوتنا وتحكمنا به على وفق المبادئ السليمة التي تضمن لنا ما نريد من الطفل.. وما نريده له، وفي الوقت نفسه تكون هذه المبادئ ضامنة لحق الطفل وحريته وما يريده منا، لينشأ سليماً.. يعي ما يريد هو وما نريد نحن، ليكون التوافق موضوعياً بيننا. ويسير على وفق قواعدنا التربوية والأخلاقية والثقافية... وعندها سيشعر الطفل أن حريته هي حريتنا.. وقيمه هي قيمنا.. والصواب الذي يخطو إليه هو ما يريده هو لنفسه، وهو ما نريده نحن له، حتى يسلك هذا السلوك.. وحتى يستجيب لتحكمنا الواعي، الذي يخلص إلى نتيجة إيجابية أساسها ترصيخ الوحدة الاجتماعية والثقافية والتربوية بينه وبيننا..

والطفل هنا كما يؤكد روسو بقوله: «ما من شك أنه يجب أن لا يعمل إلا ما يريد، ولكن ينبغي أن لا يريد إلا ما تريده أنت أن يعمله، وينبغي أن لا يتخذ أية خطوة لا تتوقعها أنت، وينبغي أن لا يفتح فمه من دون أن تكون على علم بما سيقول»[1].

إنها مسؤولية عظيمة ألقاها (روسو) على المربي، بل جعل (روسو) للمربي كامل الحق في التدخل، ولكن أي تدخّل؟ إنه التدخل غير المباشر لدى الطفل بحيث لا يلغي شعوره أنه هو الذي يقرر، وهو الذي يختار.

والتربية الإسلامية لا تخالف هذا البتة، فإن تعمقنا في طرائق التوجيه الإسلامي للناشئة نجد المبادئ نفسها بأساليب ناضجة ورائعة.

---

(١) آراء «روسو» في ثقافة الطفل. جريدة التآخي العدد (٣٠)، ٢٠٠٥م.

فهذا يوسف الصديق عليه السلام يخاطب صاحبي سجنه قائلاً: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف]، وظاهر أسلوب الاستفهام في هذا التوجيه الخفي لاختيار مبدأ توحيد الربوبية، فقد عرض القرآن الكريم على لسان يوسف النبي مشكلة المشكلات وهي اضطراب الفطرة البشرية حين تصطدم بمفهوم تعدد الأرباب، فجعل يوسف المسألة سؤالاً يسأله، ويبني عليه جواب وقرار يتخذه السامع، فبعد أن عرض المربي (وهو هنا يوسف عليه السلام) صورة قاتمة لواقع تعدد الأرباب والتي تسفر لا محالة عن اختيار الصواب وهو جانب الله الواحد القهار... وبعد اختيار المتربي هذا الجانب تتم المهمة التعليمية الرائعة دون أن يشعر المتربّى (الهدف) أنه قد أملي عليه شيء.

والمتأمل لكتاب الله عز وجل وأحاديث رسول الله ﷺ يجد من هذا الكثير، ففي الذكر الحكيم كذلك قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الصف: ١٠]، والمسألة لا تحتاج إلى تفكير طويل، فالجواب المتوقع من السامع (الجواب الطبيعي) أن يقول: نعم، وأن يتخذ قراراً بذلك لا يأسر الإرادة.

أما في الحديث الشريف فتوجيهات النبي ﷺ في هذا كثير ما يتصدرها مثل هذا التخيير لشد الانتباه ولاستدعاء القرار من السامع (المتربّي)؛ كقوله ﷺ: «**أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»(١).

وهذا النوع من الاستفهام هو الاستفهام التقريري الذي يخرج عن أن يكون استفهاماً ليصير تقريراً يصدر من السامع، ولا يكون الاستفهام

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، حديث رقم (٥٤).

تقريرياً إلا إذا كان السائل يتوقع جواباً إيجابياً من السامع بـ(نعم) أو (بلى)، وهذا يلتقي تماماً مع ما رمى إليه (روسو) بقوله في الطفل: وينبغي ألا يفتح فمه ـ أي: الطفل ـ من دون أن يكون ـ أي: المربي أو المعلم ـ على علم بما سيقول[١].

وقد أكد (روسو) على أهمية الانتقال من المحسوس إلى المجرّد وهذا ما كان يعنيه النبي ﷺ في توجيهاته.

فمن ذلك إقناعه للمتربي بأثر الصلاة في التطهير من الذنوب حيث بدأ بقوله: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم**...» الحديث، فلم يعمد إلى القول: (الصلاة تمحو الخطايا)، بل قدم لذلك بصورة محسوسة مقنعة توضح المقصود والمطلوب وتقربه من الأفهام.

ولو حاولنا تتبع المسائل التي طرحتها نظرية (روسو) التربوية ولا تتعارض مع التربية الإسلامية لوقفنا على الكثير مما قد لا تتيحه مجال هذه الدراسة، فلننتقل إلى النقاط التي يمكن تسميتها بنقاط الاختلاف مع توجهات (روسو)، تلك النقاط التي يمكن أن تقسم قسمين: نقاط عامة، ونقاط محددة.

ـ نقاط الاختلاف العامة مع نظرية (روسو):

لا تتباين نقاط الاختلاف بين توجهات التربية الإسلامية والتوجهات التربوية الغربية بوجه عام، و(روسو) واحد عن أعلام التربية الغربية على كل حال.

فالاختلاف الجذري بين نوعي التربية يكمن في اختلاف الأهداف من التربية، وقد ذكرنا من قريب أهداف التربية الإسلامية[٢]، ومعلوم أن

---

(١) انظر: مقالة آراء روسو في ثقافة الطفل جريدة التلآخي العدد (٣٠)، ٢٠٠٥م.
(٢) تقدم ذلك ص٤٢٧.

أهداف التربية الغربية تُجمع على أمور الفضيلة والأخلاق فيما تطرحه من أهداف لكنها تترك هذه الأمور مائعة ليس لها طابع التقنين أو التحديد، وهذا ما ردّده كذلك بعض التربويين من العرب الذين أفاضوا كتربويي الغرب في ذكر صلاح النفس، وسمو الروح، والتحلي بالأخلاق، والمُواطن الصالح، دون أن يضعوا معايير صارمة لتلك الأمور، بل ربطها بعضهم بأن «يكون لدى الوالدين أنفسهما ضمير ومعايير خلقية ناضجة ومعقولة؛ أي: ليست متشددة أكثر من اللازم أو جامدة أو قاسية»[(١)].

إن مثل هذه العبارة تشعر بمدى الانفتاح الأخلاقي وعدم التحديد! ثم ما هو اللازم وغير اللازم؟ ومن يضع قانونه؟ ومن الغريب حقّاً في بلاد إسلامية ألا نجد في كثير من الكتب التي يضعها التربويون العرب إشارة إلى ما يسمى التربية الإسلامية أو التوجيه الديني في التربية!

ومن هنا فإن التربية الإسلامية وأهدافها ومرامها مستقلة متميزة بالأسس التي تنطلق منها وهي أخلاقيات الإسلام، وأسس العقيدة الإسلامية وضوابطها، هذه الأسس التي لا تتغير مكوناتها الأساسية على مر العصور، فالسرقة تبقى هي السرقة، وشرب الخمر هو شرب الخمر، والزنا هو الزنا، وسرعان ما يردّ العالم الإسلامي الذي يُسأل عن مستحدثات في العصر الحديث إلى أصولها الإسلامية بمسمياتها الأساسية.

بينما نجد القيم الخلقية ذاتها باعتراف علماء التربية الغربيين أنها تتطور مع الزمن وهم في ذلك يجربون!! في ضوء النتائج التي تجري في المجتمعات، ويستخلصون ويستنتجون، ولكن بعد فوات الأوان. فقد لاحظ بعض تربويي الغرب أخيراً أن من الضروري فصل الطالبات عن

(١) الطفل من الحمل إلى الرشد، محمد عماد الدين إسماعيل ١/ ٤٢٣.

الطلاب في المدارس[١].

ويقول محمد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ: «تلتقي مناهج التربية الأرضية على هدف التربية هو إعداد (المواطن الصالح)، وتختلف الأمم بعد ذلك في تصور هذا المواطن وتحديد صفاته، فقد يكون هو الجندي الشاكي السلاح المتأهب في كل لحظة للوثوب سواء للعدوان أو لرد العدوان، وقد يكون هو الرجل الطيب المساعد الذي لا يحب الاعتداء على أحد ولا اعتداء أحد عليه... ولكنها تشترك كلها في شيء واحد! في إعداد (المواطن الصالح)! أما الإسلام فلا يحصر نفسه في تلك الحدود الضيقة، ولا يسعى لإعداد (المواطن) الصالح، وإنما يسعى لتحقيق هدف أكبر وأشمل هو إعداد الإنسان الصالح... الإنسان من حيث هو إنسان لا من حيث هو (مواطن) في هذه البقعة من الأرض أو في ذلك المكان، وذلك معنى أشمل ولا شك من كل مفهوم للتربية عند غير المسلمين»[٢].

ـ نقاط الاختلاف الخاصة مع نظرية (روسو):

تقدم في هذا المبحث كيف أن (روسو) قد قسّم المراحل العمرية للبشر إلى مراحل صارمة[٣] جعل بينها كالحدود بين الدول، وليس الإشكال في التقسيم بقدر ما هو متعلّق بما أسبغه على كل مرحلة من شرائط وصفات. وأبرز تلك الشرائط أنه اعتبر المرحلة الأولى والثانية خاضعتين للتربية السلبية، وتعني: عدم التدخل في حياة الطفل، وجعله يتعلم من تلقاء نفسه ومن الطبيعة نفسها، كما أولى الاهتمام الأكبر

---

(١) انظر: مقالة بعنوان منع الاختلاط في مدارس أمريكا، للدكتورة نورة السعد، جريدة الرياض، العدد (٢٧٧٠٧)، تاريخ ١٩/ ٥/ ٢٠٠٢م.

(٢) منهج التربية الإسلامية ١/ ١٣.

(٣) انظر: ص٤١٢ من هذا البحث.

للحواس لدى الطفل وتنميتها[١]، وكان لـ(روسو) موقف من التربية الدينية فجعل أوانها في سن السادسة عشرة! وحظر التعليم التلقيني فيما قبل الثانية عشرة.

وهذه كلها نقاط ينبغي مناقشتها في ضوء التربية الإسلامية؛ لأنها تتعارض معها قليلاً أو كثيراً.

إن مسألة التوجه إلى الطفل وإيلائه العناية الخاصة من حيث هو طفل له تطلعاته وإمكاناته مسألة أقرتها التربيات الغربية على اختلافها بما فيها التربية الإسلامية، لكن قضية عدم التوجه إلى الطفل بالتعليم من جهة المربي مسألة فيها نظر ذلك أن الإسلام توجه إلى الطفل بالتعليم وفي الحديث الشريف بعض الأوامر التي تختص بتربية الطفل عن طريق الأمر المباشر كأمره بالصلاة لسبع؛ لقوله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر**»[٢]، ويقتضي هذا الأمر تعليمه حفظ سور من القرآن الكريم، أو ما أمكن من الكتاب العزيز، وقديماً قالوا: العلم في الصغر كالنقش على الحجر.

أما أسلوب هذا التعليم فقد ترك الإسلام لأساليب التربية المختلفة حرية الانتقاء منها ما يناسب الحال والمقام. ولعل أقوى أساليب التربية الحديثة هو أسلوب التربية بالقدوة، فالطفل يرى والده يصلي فيسعى إلى تقليده والوقوف إلى جانبه في الصلاة والسجود معه. ومسألة تعليم الولد حفظ السور يمكن أن يستفاد من رغبة الطفل الشديدة في السن المبكرة في تعلم مفردات اللغة فلا بأس من جعل آيات الكتاب العزيز من ضمن ما يردّده الطفل ويجري على لسانه على أن يشجع على ذلك ويكأفا عليه.

---

(١) انظر: ص٤١٢ من هذا البحث.
(٢) سبق تخريجه.

أما تأخير تعليم مفاهيم الدين كمسألة التوحيد والاتّباع فيمكن تبسيط مسائلها بحيث تجعل غير خارجة عن إحساس الطفل بأنه توصل إليها من تلقاء نفسه، وذلك باستخدام الحوار الهادئ المبسّط من جهة المربي وسلوك طريق الاستدلال الذي تحث عليه الآية القرآنية: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ . . .﴾ [يونس: ١٠١].

إن أمام المربي المسلم من المحسوسات التي تقود إلى المجردات ما لا يحصى من مظاهر الكون، فالسماء مرفوعة بلا عمد، والزرع ينمو من تلقاء نفسه، وقلب الإنسان والحيوان يخفق بلا كلل ولا ملل. .

ثم إن الطفل لن يدع والديه ومعلمه حتى يبلغ سن السادسة عشرة ليتساءل أو يسأل عن أسرار هذا الوجود ومظاهره وربط كل شيء بعلاقة السببية.

وعلى هذا نستطيع القول إن المربي المسلم من الخير له ألا يتدخل بالأمر المباشر إلا عند الضرورة القصوى معتمداً على أمرين متلازمين: **أولهما**: تقديم القدوة الصالحة له من خلال تصرفات الأبوين.

والأمر الثاني: الحرص الشديد على تقديم الحب للطفل، فإن المحب لمن يحب مقلّد بشعور أو لا شعور. وقد أشار إلى هذا محمد عماد الدين إسماعيل فقال: «أثبتت الدراسات أن تبني الطفل لقيم ومعايير الوالدين تعتمد على مقدار الدفء والحب الذي يحاط به الطفل في علاقته بوالديه»[(١)].

ومن الاعتراض على مبدأ (روسو) في تأخير تقديم المبادئ والأفكار إلى ما بعد الثانية عشرة ما ذكره عبد الله عبد الدايم: «على (إميل) أن يكون في هذه السنوات الثلاث (١٢ ـ ١٥ سنة) ذهناً مشرقاً

(١) الطفل من الحمل إلى الرشد ص٤٢٣.

وذكاء لامعاً بعد أن قضى اثنتي عشرة سنة في التربية السلبية!»[١].

لكن عبد الدايم اعترض على (روسو) «كيف يعرّض (إميل) فجأة للدراسات السريعة التي يفرضها عليه؟! إذ لم يقيد في سنواته الأولى على التفكير وعاش حياة جسدية كلها»[٢].

ومع أن عبد الدايم يرى أن نصائح (روسو) لا تخلو من جانب كبير من الصحة، لكن ذهب إلى أن فكره لا ينجو من الإفراط والمغالاة[٣] فقد قال: «وظاهر أن خطأ (روسو) هنا هو في تجزئته حياة الإنسان قسم العشرين أجزاء أربعة قاطعة لا سبيل إلى التواصل بينها[٤]، وقال أيضاً: «أفلا تخشى إذا استغنى الطفل عبد الله حتى سن وأن يشك بدل أن يعتقد؟ ثم إن الطفل فضولي بطبعه، فهل في وسعه أن ينتظر حتى السنة الثانية عشرة ليسأل عن الكون؟»[٥].

وعلم النفس التعليمي بنظرياته المتعددة مقرّ بأن مرحلة الطفل (٦ ـ ١٠) هي: «مرحلة النشاط العقلي المتدفق والتفكير الذي يساعد على الفهم والتحصيل المدرسي، ولكن تحصيل الطفل في هذه المرحلة يعتمد على الواقع أكثر من الخيال فهو يريد أن يتعلم بنفسه بالنشاط الذاتي والتجريبي والمحاولة... ويلاحظ في هذه المرحلة اكتساب الطفل الكثير من أساليب السلوك بالمحاكاة والتقليد والامتصاص والتقمص الأمر الذي يجعل أثر المدرسين كثيراً في تكوين عادات الطفل والقيم الاجتماعية التي يكونها كمبادئ العدل وعدم التحيز أو التعصب وحب الخير والمثابرة... والمساواة والحق والواجب»[٦].

---

(١) التربية عبر التاريخ، مصدر سابق ص٣٨٦.
(٢) نفسه ص٣٨٦.
(٣) نفسه ص٣٨٩.
(٤) نفسه ص٣٨٩.
(٥) نفسه ص٣٩٢.
(٦) علم النفس التعليمي، محمد خليفة بركات ص١١٥، ١١٦.

وفوق هذا كله فعلم النفس التعليمي يقول عن المرحلة من عمر الطفل التي تبدأ من ست سنوات: «يكتسب الطفل من المعلم العادات المفيدة، وبالأخص من حيث التنشئة الدينية والتمسك بالقيم والمبادئ الاجتماعية السليمة»(١).

وهذا الذي ذكرناه هو ما عليه أساليب التعليم المعاصرة ومناهجه وهو كله يجبّ إصرار (روسو) على التربية السلبية في مرحلة ما قبل اثني عشر عاماً من عمر الطفل.

لكننا قد نلتمس لـ(روسو) من جهة أخرى أسباباً جعلته يقف هذا الموقف من تأخير تقديم مسائل العقيدة (الدين إلى ما بعد السادسة عشرة، ذلك أن (روسو) طلع بكتابه (إميل) في مرحلة تاريخية كانت فيها فرنسا تطرد (اليسوعيين) من فرنسا وتقوم بانقلابها على الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والاستيلاء على ممتلكاتها(٢).

وقد كان مليئاً بالحنق الطاغي على تصرفات الكنيسة الأوروبية التي وقفت ما وسعها ذلك في وجه التقدم العلمي المحض والاكتشافات العلمية وعاقبت المبدعين ووصفتهم بالإلحاد، وزجَّت بسلطتها ومحاكم تفتيشها بكل ثقلها في صراع دموي غير مشرّف.

وهذا بطبيعة الحال مغاير لتاريخ العقيدة الإسلامية ومسيرتها المليئة بالعدل والرحمة والتفتح وتقبّل مخرجات العلم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك].

وقال في موضع آخر: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ

(١) نفسه ص١١٧.
(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية ٨/ ٧٩.

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ [آل عمران].

إن تقبّل العقيدة الإسلامية لاكتشافات العلم واضح في هذه الآيات، فليس هنالك من تعارض بين العقيدة الإسلامية واكتشافات العلم مهما علا شأنها؛ لأن العلاقة بين الأمرين علاقة مساندة، فكلما عظمت المكتشفات العلمية أشار ذلك إلى عظمة الخالق وحسن تدبيره للكون وعلاقاته وقوانينه.

المبحث الرابع الأثر الضار لبعض التطبيقات المعاصرة على الناشئة في مراحلها العمرية المختلفة

إن المتتبع لمراحل التعليم التي يمر بها الناشئة في البلاد الإسلامية، يجد بين ثنايا تطبيقاتها بعضاً من الآثار الضارة التي تؤثر على النشء في مسيرة حياتهم سواء على المستوى الديني أو التعليمي، وسوف نقف بإذن الله على البعض منها وخاصة في مرحلة رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية، **ومن هذه الآثار ما يلي:**

❐ أولاً: تعليم الناشئة في رياض الأطفال والمدارس ذات الطابع الأجنبي:

١ ـ تعليم الناشئة في رياض الأطفال:

إن التعليم في رياض الأطفال له أهمية كبرى في تنشئة الطفل وتربيته على المبادئ القويمة، والعادات الخيرة والأخلاق الفاضلة حسب جميع المناهج التربوية.

ونظراً لأهميته البالغة لرياض الأطفال اهتم بها المبشرون، فلما بدأت هجمة الغزو الفكري جعلت تركز على المدارس عموماً ومدارس الصغار بشكل خاص، من أجل خدمة أغراض التبشير والمستعمرين، ويرجع اهتمامهم بالأطفال ومدارسهم إلى أن التعليم الديني في هذه المدارس يجعلها باباً مفتوحاً للتبشير، وللتأثير في عقول الأطفال الغضة[(١)].

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى خالدي وعمر فروخ ص٦٨.

وقد تخرَّج في مدارس رياض الأطفال في المدارس ذات الطابع الغربي أناس من أبناء المسلمين يحملون أفكاراً علمانية، قادوا بلادهم في عدد من الأقطار ونفذوا طائعين ما يريده أعداء ديننا الحنيف.

فعلى الوالدين عدم الانخداع في مظهر هذا النوع من رياض الأطفال؛ لأن داخلها مكمن خطير يقود الناشئة إلى التهلكة والانسلاخ من العقيدة الإسلامية.

ذلك أن هذه المدارس لا تقوم على أهداف واضحة المعالم فيما يخص التربية الإسلامية بل على العكس تقوم بتغذية أطفالنا بمبادئ العلمانية والليبرالية لينشأ الطفل خلواً من كل غيرة على عقيدة أو التزام بدين.

❐ ثانياً: أثر تعليم الناشئة في المدارس الأجنبية في المرحلة الابتدائية:

إن المقصود بالتعليم الأجنبي هو التعليم الذي لا يرتبط بالسياسة التعليمية للبلد ولا يتقيد بمناهج التعليم فيه، وإنما يسير وفق سياسة تعليمية ومناهج مختلفة ويكون تابعاً لجهة أجنبية»[1].

وهذا النوع من التعليم يعد نوعاً من الاستعمار الفكري، فهو معركة فكرية هدفها استعمار قلوب المسلمين عقيدة وفكراً ومنهج حياة، ليصبح العالم الإسلامي غريباً في أخلاقه ومقوماته متنافراً مع دين الإسلام الحق.

والمدارس في هذا التعليم الأجنبي على نوعين:

١ ـ «مدارس تابعة للإرساليات ـ البعثات ـ التنصيرية ـ الكاثوليكية ـ

(١) الغزو الفكري التحدي والمواجهة ص١٠٤.

والبروتستانتية «جمعيات التبشير»، الإيطالية والفرنسية والبريطانية والألمانية، والأمريكية، واليونانية.

٢ ـ مدارس تابعة للسفارات الأجنبية، ولهذا تجدها مدارس «فرنسية» و«ألمانية» و«أمريكية»، وغيرها وقد تسمى باسم المدارس القومية وهي مشتهرة باسم «مدارس الجاليات».

وكل مدرسة من النوعين المذكورين تخدم ما تنتمي إليه من دين ونحلة وسلوك ومنهج، لكن النوع الأول المقصود به استعمار مواليد المسلمين والتأثير عليهم، وأما النوع الثاني فقد يكون مقصوراً على أولاد الجالية فقط، ففيه مبدأ وجودها على الأرض الإسلامية، وقد يسمح بإدخال أولاد المسلمين فيها»[(١)].

أهداف المدارس الأجنبية وآثارها على ناشئة المسلمين:

إذا تبنت أمة نظام تعليم وافد في ظل عقيدة غير عقيدتها، وأخلاق غير أخلاقها، فسيكون الناتج أهدافاً في الاعتقاد والأخلاق والسياسة والاجتماع تتحقق في أبنائها فتترك فيهم أفكاراً وانحرافات مغايرة لمقتضى الإيمان والعقيدة الصحيحة.

وأهداف نشر التعليم الأجنبي بين المسلمين تتمثل في الآتي:

من معجزات النبوة الظاهرة وآثارها الباهرة الحديث المتفق على صحته: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه**»[(٢)].

ومن مآثر علماء المسلمين العمل على تلقين عامتهم وأولادهم هذا الحديث وقاية لهم في فطرتهم ودينهم وحماية لهم من الضلال.

---

(١) المرجع السابق ص١٩.

(٢) سبق تخريج الحديث.

إن المدارس الأجنبية تقوم على تعصب ديني وتثقيف قومي في اللسان والتاريخ، فكل مدرسة تعنى بتعليم دين بلادها ولغتها وتاريخها، ومقومات حياتها، تلقنها طلاب مدارسها، وتسعى بواسطتهم لنشرها بين أهليهم، وهذه بالطبع تفضي إلى الآثار المدمرة في اللغة والتاريخ، والدين.

أما في اللغة: فهذه المدارس المظلمة تقوم بالتعليم بلسانها ولغتها، ومعلوم أن اللغة وعاء الحضارة، فكان بالتالي أن يتشرب أبناؤنا تلك الحضارة ويعجبوا بها ويقلدوها منسلخين عن حضارة دينهم وأصالتهم.

وأهم ما في الأمر إهمال اللغة الأصلية ذلك الحاجز العالي الذي يقوم بين المسلم ولغته العربية، فإذا ابتعد عن لغته ابتعد آلياً عن تراثه المتمثل بالقرآن الكريم أولاً والحديث الشريف ثانياً، وهما أساس ارتباطه بالدين الحنيف.

وأما في التاريخ: فيتعلم الناشئ تاريخ الدول الغربية على أنه قمة الرقي والأخلاق والعدل، وتمسح من ذهنه كل علاقة بالتاريخ العربي الإسلامي المشرّف الذي كان فيه المسلمون أسياد العالم قروناً عديدة.

والكتب التي يتم تدريسها في هذه المدارس تتكلم عن بطولات وشخصيات غير إسلامية، مما يرسِّخ في أذهان الناشئة تمجيداً واحتراماً لهذه الشخصيات في حين تغفل البطولات الإسلامية والتاريخ الإسلامي المجيد[1].

وأما في الدين: فإن غزو هذه المدارس التثقيفي هو تمهيد للغزو الديني، فهي معاقل تبشير بالديانات.

والمتربي المسلم الذي يضعه والده في أحضان هذه المدارس

(١) الغزو الفكري في الخليج العربي، سعيد عبد الله المهدي ص٢٣٧.

الاستعمارية يخرج مسلماً خواء مفرغاً من مقوماته فهو يكون مشحوناً بمقومات الغيرة على دينه وثقافته، فيستخدمونه لأغراضهم وغاياتهم[١].

❐ ثالثاً: أهمية القدوة عند الناشئة:

تعتبر القدوة من الوسائل الناجحة والمؤثرة في إعداد الناشئة خلقياً، ونفسياً، واجتماعياً، وهي من أرقى أساليب التربية.

والتربية بالقدوة العملية أبلغ وأشد تأثيراً من التربية النظرية، وكثيراً ما تشكو المجتمعات اليوم من مظاهر الانحراف، وتُلقي باللائمة على الناشئة وتتجه نحوها بالزجر والوعيد، ولكن هذه الأساليب لا تؤتي ثمارها لفقدان الناشئة القدوة الصالحة في الآباء والمعلمين والمربين[٢].

ويقول أحد المربين في هذا المجال: «في القرآن آيتان ما تلوتهما أو استمعت إليهما إلا عزوت خيبة التربية والتعليم في الناشئة إلى عدم إعطاء الآباء والمعلمين والرؤساء القدوة العملية من أنفسهم لمن وكل إليهم الأمر في تعليمهم أو تربيتهم أو تشغيلهم»[٣]، هاتان الآيتان هما: قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف].

أ- أنواع القدوة وأثر كل منها:

فالقدوة ذات أثر كبير في سلوك الناشئين، وقد يكون أثرها هذا إيجابياً أو سلبياً.

---

(١) انظر: المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية ص٣٢، ٣٣ بتصرف.
(٢) انظر: القدوة ودورها في تربية النشء، بريكان القرشي ص١٩ بتصرف.
(٣) على مائدة القرآن، دين ودولة، أحمد محمد جمال ص١٤٢.

فلقد جاء التوجيه الرباني للاقتداء بأنبياء الله ورسله ومن اقتدى بهم فأمر الله ورسوله محمد ﷺ بأن نقتدي بهدي الرسل السابقين ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام]، وأمر الله المؤمنين بأن يقتدوا برسول الأمة وأسوتها محمد ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

ولكن عندما تكون القدوة أسوة سيئة فإن التقليد والمحاكاة له أثره الضار في الناشئة، وطريقاً سهلاً للوصول إلى دركات النقص التي انحدرت إليها أسوتهم السيئة، ويغذي هذا التقليد والمحاكاة لهذه الأسوة السيئة ما يقدمه دعاة الشر للمجتمعات من نماذج فاسدة لها تأثيرها القوي في نفوس الجماهير، وهي نماذج ذات مفاهيم وعقائد باطلة وأعمال مضلة سلطت عليها الأضواء الإعلامية ونشر بين الناس عبارات الثناء والإعجاب ليقتدي بها.

ومن هذه الأمثلة نجوم الفن والجمال والأناقة والغناء ليكونوا قدوة للجماهير يقتدي بهم في مظاهرهم وسلوكهم حتى في شؤونهم الخاصة كما هو الحال في بعض برامج التلفاز المتعلقة بإعداد النجوم وما لها من أثر ضار على الناشئة في متابعته وتقليد من ينضمون فيه من شباب وفتيات[1].

ب ـ أهم المجالات المؤثرة في تشكيل القدوة الحسنة عند الناشئة:

١ ـ الأسرة ودورها في تشكيل نموذج القدوة:

تمثل الأسرة بجميع أفرادها القدوة الحسنة التي يحتاج لها الناشئ، لذا ينبغي أن تكون أسرته خالية من عوامل انحراف الفطرة السليمة، «فكما أن في الإنسان استعداداً فطرياً لمعرفة الحق وفعل الخير فهو أيضاً قابل تحت تأثير بعض الظروف الأسرية والاجتماعية غير الصالحة التي

(١) انظر: غزو في الصميم ص١٥٢، ١٥٣.

ينشأ فيها؛ لأن يطمس فيه هذا الاستعداد الفطري لمعرفة الحق وفعل الخير، فيميل إلى الباطل وفعل الشر[١]، وقد وضح الرسول ﷺ الدور الفاعل للأسرة في تربية الأبناء وفي تزويدهم بنماذج القدوة: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه**»[٢].

فالآباء هم القدوة الفعلية لأبنائهم في سلوكهم وسائر أحوالهم سواء كان حسناً أم سيئاً. فإذاً تعهد الآباء أبناءهم بالتربية الصالحة وتعويدهم في هذه المرحلة على الأخلاق والأفعال الحميدة حتى يكبروا عليها. ولكن إذا أهمل الأبناء وعُوِّدوا على المسلك السيئ، فإن ذلك يصير جزء من حياتهم، فالطفل مثلاً: يحاكي والديه في أفعال الصلاة فيركع ويسجد حتى قيل: إنه لا يدرك حقيقة الصلاة، فإذا شب وأدرك حقيقة الصلاة أصبحت جزء من سلوكه يؤديها على إيمان وقناعة، وكذلك إذا رأى والده يعامله ويعامل إخوانه بالعطف والرفق فإنه يتعلم منه معنى الرحمة والشفقة، وكذلك إذا رأى والدته تحترم والده وإخوانه الكبار يحترمون والديهم بطبيعتهما فإنه ينشأ على طاعة والديه واحترامها[٣].

فالقدوة الحسنة تتمثل في الوالدين أولاً، ثم في بقية أفراد الأسرة، ومنهم يكتسب الطفل أنماط السلوك ومعاني المفاهيم.

أما إذا كانت القدوة في الأسرة سيئة فإنها تكون معول هدم لكثير من المبادئ والقيم الحسنة التي ينبغي على الناشئ اكتسابها من والديه، وينبغي أن نضع في الاعتبار أن نظرة الناشئ إلى سلوكيات وتصرفات الآخرين الخاطئة تختلف عن نظرته إلى سلوكيات وتصرفات والديه، فالأب والأم مراقبان في البيت من أولادهما، وكل سلوك أو قول يصدر عنهما يسهم في

---

(١) الحديث وعلم النفس ص٢٥٠. (٢) سبق تخريجه.
(٣) انظر: القدوة ودورها في تربية النشء ص٢١ ـ ٢٣.

تكوين النموذج والقدوة الذي يؤثر على تنمية شخصياتهم[١]، فالولد الذي يرى والده يكذب لا يمكن أن يتعلم الصدق.

والولد الذي رأى أمه تغش أباه أو أخاه لا يمكن أن يتعلم الأمانة.

والبنت التي ترى أمها مستهترة متبرجة فمن الصعب أن تتعلم الحياء والفضيلة.

والولد الذي يقسو عليه أبوه لا يمكن يتعلم الرحمة[٢].

«ويلاحظ أن ترسيخ مبدأ الشورى والتعاون، ومبدأ قوامة الرجل في الأسرة واحترام الصغير للكبير، وعطف الكبير على الصغير، كل ذلك يعدّ من أحسن الأنماط السلوكية التي يلتقطها الطفل في هذه المرحلة وينشأ وفقاً لها»[٣].

٢ ـ المعلمة ودورها في تشكيل نموذج القدوة لمرحلة رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية:

إن المعلم أو المعلمة في المدرسة هو المثل الأعلى والأسوة الحسنة في نظر الناشئ يحاكيه سلوكياً ويقتدي به خلقياً من حيث يشعر أو لا يشعر، بل وتنطبع في نفس الناشئ وإحساسه صورة المعلم القولية والفعلية ومن السهل على المعلم أن يلقن المتعلمين مقرراً دراسياً، ولكن من الصعب أن يستجيب هؤلاء المتعلمون لما يتضمنه هذا المقرر من مبادئ وقيم حين يرون أن من يشرف على تربيتهم ويقوم على توجيههم غير ملتزم بها[٤]، «ولذلك فإنه مهما يكن من أمر إيجاد منهج تربوي

---

(١) انظر: مضامين مفهوم القدوة كما تدركها معلّمات رياض الأطفال، مضاوي عبد الرحمٰن الراشد ص١٨.

(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ص١٨٦.

(٣) دور البيت في تربية الطفل المسلم، خالد أحمد الشنتوت ص٣٠.

(٤) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله علوان ٢/ ٤٧٦.

متكامل ومهما يكن من أمر إعداده والدقة في اختياره فإنه لا يغني عن وجود واقع تربوي يمثله إنسان مرب قدير يترجم من خلال سلوكه وتصرفاته وأسلوبه التربوي الأهداف والمعاني والأفكار التي يراد إقامة المنهج التربوي عليها، لذا فالمتعلم بحاجة إلى قدوة يراها في كل معلم من معلميه وفي كل معلمة في المدرسة يقتنع حقاً بما يتعلمه وليرى فعلاً أن ما يطلب منه من السلوك المثالي هو أمر واقعي ممكن التطبيق في الحياة»[(١)].

وتبرز أهمية القدوة في تربية الناشئة وأهمية الدور الذي تؤديه معلمة رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية كنموذج للقدوة من خلال:

١ ـ استحسان الناشئ كل سلوك أو عمل حسناً يراه، والتقدير لهذا العمل، وهذا يدفعه إلى محاولة تقليده[(٢)].

٢ ـ رغبة الناشئ في محاكاة من يعجب له وتقليده سواء كان حسن أو سيئ السلوك، فقد يقتدي عدد كبير من الأطفال بنماذج غير صالحة، لذا تظهر بعض البوادر السلوكية غير المرغوب فيها وتزداد حدتها حيث تكون معززة بصورة مباشرة أو غير مباشرة من الأحداث والمواقف المختلفة في الحياة[(٣)].

والمعلمة ينبغي أن تكون حياتها حياة الداعية إلى الله التي يكون سلوكها تطبيقاً عملياً لما تدعو إليه، وتكون مصباح هداية لا غواية، قدوة صالحة ظاهراً وباطناً تعمل بعلمها، فلا يكذِّب فعلها قولها، ولا يخالف

---

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ١/ ٢٢١ وأصول التربية الإسلامية، عبد الرحمٰن النحلاوي ص٢٢٨.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، النحلاوي ص٢٣٣.

(٣) القدوة وأثرها في التنشئة الاجتماعية لتلاميذ المرحلة الابتدائية، د. محمد بن شحات الخطيب ص٣٤ بتصرف.

ظاهرها باطنها، بل لا تأمر بشيء ما لم تكن هي أول من يعمل به، ولا تنهى عن شيء ما لم تكن هي أول من تتركه كما قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ٤٤]، وينبغي أن تسعى جاهزة في إيصال القيم الدينية والخلقية إلى الأجيال، وأن تبتعد عن الفنون المحرمة كالغناء والموسيقى المحرمة، فلا يتعلم أطفالها منها إلا كل جميل مباح.

ومما ينبغي التأكيد عليه التركيز على ضرورة تأهيل المعلمة تأهيلاً شرعياً وتقوية الوازع الديني والأخلاقي لديها؛ لأن كلاهما عنصران ضروريان لقيام المعلمة بدورها بشكل صحيح له دوره في وجود أجيال ونشء صالح قادر على مواجهة ما من شأنه أن يكون ضرراً على عقيدته وسلوكه وأخلاقه وقدرته على الحفاظ على دينه والثبات عليه[١].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: القدوة ودورها في تربية النشء ص٢٥، وتربية الأطفال في رحاب الإسلام ص٣٦٧.

المبحث الخامس ضرورة التزام المنهج القرآني في إعداد الناشئة وأثر ذلك في مواجهة كافة أسباب الانحراف المعاصرة

يمثل الالتزام بالمنهج القرآني القاعدة الأساسية للمربين في تحصين الناشئة وحمايتهم من مظاهر الانحراف المعاصرة؛ ذلك لأن القرآن صادر عمّن خلق الخلق، وهو أعلم بمن خلق، ما يسعده وما يشقيه. ولحماية الناشئة من آثار الغزو الفكري والعقدي وسائل غير مباشرة تعنى بتحصين الناشئ نفسه ليكون قادراً على الوقوف في وجه الرياح، ووسائل مباشرة تتصدى لتلك الرياح أو تتجنبها:

❐ أولاً: الوسائل غير المباشرة في حماية الناشئة من الغزو الفكري والعقدي:

ويكون ذلك بالتربية الإيمانية الصحيحة للناشئة، فإن التربية الإيمانية من أولى التوجهات القرآنية التربوية، ومسألة العقيدة هي المسألة الأولى في القرآن الكريم؛ فلا تكاد تخلو سورة صغيرة أو كبيرة لا تذكِّر بالخالق الواحد، وتدعو إلى الإيمان به والامتثال لأمره. واستخدم الذكر الحكيم طريقة الترغيب والترهيب في أمرين لا ثالث لهما هما مصير كلّ البشر، فإمّا إلى جنّة فيها كل جميل وممتع، وإمّا إلى نار فيها كلَ فظيع ومفجع. ولعل من المناسب أن نعرض هنا جوانب ينبغي مراعاتها ضمن إطار التربية الإيمانية للناشئ، وهي:

١ ـ إشعار الناشئ بأهمية العقيدة للحياة الإنسانية(١):

إن إشعار الناشئ أنه لم يُخلَق هملاً في هذه الحياة، وأن له دوراً وواجباً عليه تأديته ليترفَّع عن منزلة البهائم ويرتقي إلى ما جعله الله جديراً به من المكانة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين]، إن ذلك الشعور وحده كافٍ بتوفيق الله وفضله أن يجعل الناشئ يحسّ بوجوده الحقيقيّ كإنسان، وأن يشعر أنه لم يخلق على هامش الحياة، وأن عليه أن يسلك مسلك نبيه في الدعوة إلى الله لإيصال الرسالة التي هي رحمة للناس أجمعين إلى جميع البشر دون إكراه أو عنف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى أيضاً: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكهف: ٢٩]، لكن هذا التخيير موجهٌ للداعي حتى لا يجعل الدعوة والتبليغ مصحوبين بالإكراه، أما المدعو فإن تخييره لا يمنع من معاقبة الله له إن هو اختار الكفر على الإيمان بدليل قوله تعالى في تمام آية الكهف السابقة: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، أما الداعي فحاله موضحةٌ بقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ ۖ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية]، قال الإمام الطبري في شرح الآية: «لست عليهم بمسلَّط، ولا أنت بجبار تحملهم على ما تريد»(٢).

٢ ـ تربية الناشئ على الاعتقاد الجازم بالرقابة الربانية:

إن اعتقاد الناشئ بالرقابة الربانية خير واقٍ من التأثر بالغزو الفكري

(١) انظر: التربية الإيمانية الصحيحة، د. علي بن إبراهيم الزهراني ص٦١، ٦٢.
(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٣٨٩.